نحو موسوعة في التفسير الموضوعي

طريقة التصنيف الألفبائي (مالها وما عليها)

إعداد
د/ عرفات محمد محمد أحمد
الأستاذ المشارك في كلية القرآن الكريم جامعة الأزهر
وكلية الآداب جامعة طيبة بالمدينة المنورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فإن لجامعة الشارقة ولمركز بحوث الكتاب والسنة جهودا مشكورة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، وقد توجت هذه الجهود بإصدار موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، وها هي الجامعة المباركة تنتقل إلى خطوة أرحب وأوسع ألا وهي إصدار موسوعة متخصصة في التفسير الموضوعي للقرآن؛ تستوعب موضوعاته وتجمع أطرافه، وتقربه خالصا سائغا للمسلمين، وقد أكرمني الله بالمشاركة في الموسوعة الأولى ببحث التفسير الموضوعي لسورة البقرة، وأحببت أن أسهم بالمشاركة في هذا المؤتمر الذي يجمع المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن لمناقشة خطوات إصدار الموسوعة.

وقد وقع اختياري على بحث يناسب أحد محاور المؤتمر، وهو عن طريقة التصنيف في التفسير الموضوعي، وجعلت عنوانه: (التصنيف الألفبائي لموسوعة التفسير الموضوعي. ماله وما عليه) وقد آثرت هذه التسمية باعتبار أنها الأقرب من النسبة إلى الحروف الأبجدية؛ على اعتبار أن الترتيب في أمثال هذه الموسوعات لا يكون بطريقة (أبجد هوز) والتي ينسب إليها فيقال: أبجدي، وإنما يكون الترتيب بطريقة(أ ب ت) فينسب إليها فيقال : ألفبائي، أو هجائي والله أعلم.

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. تكلمت في المقدمة عن أسباب اختيار الموضوع، ومنهجي وخطتي فيه.ثم تحدثت في التمهيد عن بعض مصطلحات البحث، وكان المبحث الأول عن عوامل ترجيح الترتيب الألفبائي للموسوعة، وذكرت فيه بإيجاز أهم تلك العوامل والأسباب، أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن مثالب الترتيب الألفبائي وإمكانية تلافيها، ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة فيها أهم توصياته، والله أسأل أن يوفقنا لإصابة الحق بالعلم والعمل ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الدكتور عرفات في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

التمهيد

وفيه معنى بعض مصطلحات البحث.

موسوعة:

اصطلاح قريب العهد من أول القرن الثالث عشر، وقد استعمل العرب لفظ الجمهرة ليؤدى نفس معناه، ولذلك لم تجد اللفظة في كتب اللغة المشهورة، وإنما وردت في المعاجم المتأخرة كالمعجم الوسيط حيث عرف الموسوعة فقال: كتاب يجمع معلومات في كل ميادين المعرفة أو في ميدان منها مرتبة ترتيبا أبجديا (محدثة)(1).

الترتيب الألفبائي:

لترتيب الحروف العربية أكثر من منهج وطريقة، وأشهرها الطريقة الأبجدية والطريقة الهجائية.

أما الطريقة الأبجدية فترتيبها كهذا : أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ. ضظغ. ولا يكاد أحد يستعملها الآن إلا في حساب الجُمَّل وهو نادر الاستعمال في أوساط المصنفين في هذا العصر.

أما الطريقة الألفبائية فقد جرت على الترتيب المعروف المتداول الآن وهو أ.ب.ت.. إلخ، وقد روعي في ترتيب الحروف الجمع بين المتقاربين في الرسم، وأول من رتب الحروف هكذا نصر بن عاصم الليثي. قال القلقشندي: " واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين: مفرد ومزدوج، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب؛ أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي.... وأما المزدوج فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ. وأهل الغرب يرتبونه على هذا الترتيب أبجد هوز حطي كلمن سعفض قرست ثخذ ظغش"(2).

وينسب إلى هذا الترتيب فيقال: ألفبائي، أو يقال: هجائي، أو يقال: معجمي،لأنها تسمى بحروف المعجم، وبعض المعاصرين يقول: أبتثي؛ لأن لفظ الألفبائي قد يتشابه مع الأبجدية؛ فهي تبدأ أيضا بألف باء، لكن أرى أمن اللبس هنا ، ولأن التسمية الألفبائية قد اشتهرت بلا نكير والله أعلم.

ومعلوم أن هذه الحروف معروفة للعامة والخاصة فالترتيب بها أسهل من غيره؛ قال ابن دريد في مقدمة الجمهرة: "وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة؛ إذ كانت بالقلوب أعبق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة، وطالبها من هذه الجهة بعيدا عن الحيرة مشفيا عن المراد"(3).

---

(1) المعجم الوسيط مادة وسع ص1031.

(2) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي 24/3.

(3) جمهرة اللغة لابن دريد 40/1.

الفصل الأول

الأسباب المرجحة لاختيار النظام الألفبائي منهجا لإعداد موسوعة التفسير الموضوعي.

1 – سهولة الارتباط بالكشافات والمعاجم المفهرسة للقرآن الكريم.

وقد كان هناك محاولات متعددة لعمل فهارس لألفاظ القرآن الكريم على النمط المعجمي، لا على النمط الموضوعي، وهي محاولات قديمة، ولعل أشهر محاولة تلك المسماة بترتيب زيبا ومعناها: الترتيب الجميل [1]، وقام بها العالم التركي محمود الورداري، وكان باللغة التركية ثم اقتبس منه وعربه: يحيي حلمي قسطموني في كتاب: مصباح الإخوان لتحري آيات القرآن.

وقد تعددت مناهج تصنيف الكشافات للقرآن الكريم؛ فقد اتبع جمع من الباحثين طريقة التصنيف الموضوعي للكشف عن الآيات القرآنية – وسوف يأتي الحديث عن هذه الطريقة لاحقا – واتبع جمهرة الباحثين طريقة التصنيف الألفبائي لآيات القرآن الكريم، وهذه الكشافات – على كثرتها وتنوعها – مفيدة للباحث في التفسير الموضوعي.

وقد استطعت الاطلاع على جمع من هذه الكشافات والمعاجم المرتبة ألفبائيا ووجدت أنها تختلف في المنهج وطريقة العرض، ونستطيع أن نقسم منهج الباحثين فيها إلى قسمين رئيسين: أولهما: منهج يكتفي بالفهرسة الألفبائية لأوائل الآيات، وثانيهما: منهج الفهرسة بالنظر إلى اللفظ القرآني.

أما المنهج الأول وهو الفهرسة الألفبائية لأوائل الآيات فإن مصنفاته متعددة، لكن الاستفادة منه تكاد تكون محدودة إن لم تكن معدومة في عمل موسوعة للتفسير الموضوعي على النمط الألفبائي؛ ذلك أن الفهرسة مقصورة على أوائل الآيات فقط، وهذا لا يعطى الباحث العدد الصحيح لكل الألفاظ الواردة في القرآن ولا يقاربه، وبالتالي تظل الاستفادة منه قاصرة، ومن أمثلة الكشافات التي أعدت على هذه الطريقة ما يأتي:

1 – إرشاد الحيران لمعرفة آي القرآن، إبراهيم عبدالله الأنصاري، طبعة إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر. وفيه نقص واضح.
2 – الدليل الكامل لآيات القرآن الكريم، دكتور: حسين محمد الشافعي، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر، 1415هـ – 1995م.
3 – معجم آيات القرآن. فهرس تفصيلي مرتب على حروف الهجاء، دكتور: حسين نصار، مطبعة مصطفي الحلبي 1385هـ، 1965م.

---

(1) معجم آيات القرآن للدكتور حسين نصار المقدمة ص6.

4 -إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين، وضعه: محمد منير الدمشقي. قال: "والتزمت في ترتيبه أول كل آية مع علاوة جملة من الآيات وقعت في الوسط لما فيها من التداول على الألسنة"(1). ولم يضع لذلك منهجا منضبطا.

وهذه مجرد أمثلة ولن أطيل بالحديث عن هذه التصانيف؛ فإن فائدتها- كما قلت- محدودة في مجال التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم.

وأما المنهج الثاني وهو الفهرس الهجائي لجميع مفردات القرآن بالنظر إلى الجذر أو بالنظر إلى الكلمة كما هي بدون تجريدها من الزوائد. وهى معاجم متعددة ما بين موجز مكتفٍ بذكر الكلمة موطن البحث و ذاكرٍ للآية كلها أو متعرضٍ لبيان المعنى، وهذه الكشافات والمعاجم هي الألصق بأبحاث التفسير الموضوعي؛ إذ هي تضم بين دفتيها كل ألفاظ القرآن الكريم مما ييسر للباحث الحصول على الآيات الوارد فيها اللفظ بكل مشتقاته في مكان واحد.

وسوف اذكر أشهر وأنفع هذه المعاجم فيما يلي:

1 -المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. جمعه محمد فؤاد عبد الباقي.

وهو من أشهر معاجم القرآن الكريم إن لم يكن أشهرها على الإطلاق؛ فقد استفاد واضعه من كتاب المستشرق الألماني فلوجل: "نجوم الفرقان في أطراف القرآن" وصحح أخطاءه في رد المواد إلى أصولها وفي ترقيم الآيات، وقد اكتسب كتابه شهرة طيبة لسهولة البحث فيه، وصغر حجمه، وإذا كان بعض الباحثين اللغويين قد انتقدوا عليه أشياء في رد بعض الكلمات إلى غير أصلها اللغوي، وذكر بعض الحروف في معجمه دون ذكر البعض الآخر؛ فقد ذكر مثلا: اللائي واللاتي، ولم يذكر: الذي والتي، إلى غير ذلك من الهنات التي ذكرها المتأخرون عنه(2).

أقول: على الرغم من هذه الانتقادات فإن الكتاب عظيم النفع، وبخاصة لمن أراد البحث السريع عن لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، فهو يمد الباحث بقائمة الآيات التي يبحث عن مادتها، وقد قامت معاجم أخرى بتكميل جهده مثل: "معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم " للدكتور إسماعيل عمايرة والدكتور عبد الحميد السيد و" معجم حروف المعاني في القرآن الكريم " لمحمد حسن الشريف.

2-فتح الرحمن لطالب آي القرآن، معجم ألفبائي مفصل لآيات القرآن الكريم، ترتيب: علمي زادة، فيض الله بن موسى الحسيني المقدسي، توفي بعد 1323هـ.، طبعة دار الكتب العلمية. بيروت. وله طبعات عدة.

---

(1) إرشاد الراغبين لمحمد منير الدمشقي المقدمة ص2.

(2) انظر الإشارة إلى ذلك في: دراسات لأسلوب القرآن الكريم. للدكتور/ محمد عبدالخالق عضيمة المقدمة 3/1، وانظر كذلك: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم للدكتور احمد مختار عمر المقدمة 19/1.

وهو كتاب في مجلد واحد، اقتصر مرتبه على الكلمات الرئيسة التي هي أكثر خطورا بالبال كما أوضح ذلك في مقدمة مصنفه (1)، وقد مضى على ترتيب الجذور؛ فلفظ: (يحموم) جعله في مادة: " حمم" وهكذا، وترك ثلاثا وعشرين لفظة ما بين اسم وفعل، وقد نص عليها في المقدمة، ثم أتبع ذلك بذكر قاموس الأعلام، والكتاب محاولة طيبة لكن يعيبه النقص وعدم اكتمال المواد. سواء ما نص عليه أم ما سقط منه.

3- مصباح الإخوان لتحريات القرآن، لجامعه الحافظ: يحي حلمي بن حسين قسطموني،

والكتاب من المحاولات الطيبة في التصنيف الهجائي لآيات القرآن الكريم، وقد نص جامعه على أنه لم يغادر لفظا واحد من ألفاظ القرآن الكريم، فقال في مقدمة كتابه: "الحمد لله الذي أنزل الفرقان، والصلاة والسلام على من به هدايتنا على دين الإسلام وعلى آله وصحبه أهل اليقين والعرفان، وبعد، فهذا الكتاب المسمى مصباح الإخوان في تحر آيات القرآن المقتبس من تريب الزيبا وأمثاله قد رتب كترتيب كتب اللغات، وجمع فيه لكمات الشريفة القرآنية أصولها وفروعها جميعا، تسهيلا لأرباب المطالعة ولم يترك كلمة واحدة مطلقا(2). وجاء في نهايته: قد تم الكتاب بعون الملك الوهاب في أول شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف(3).

وقد جمع الكتاب بين الكلمات والحروف والأفعال، وكان يذكر أصل للكلمة ثم يذكر كل مشتقاته؛ ففي مادة عصف يذكر: كعصف- العصف- عصفا- عاصفٌ- عاصفٍ- عاصفة-فالعاصفات. وهكذا، وقد وفق في حصر آيات القرآن توفيقا بالغا، لكن يعيب الكتاب أنه لم يذكر الآيات وإنما اكتفي بذكر رقم السورة ورقم الآية فلذلك جاء مختصرا، لكن هذه الأرقام يشيع فيها الخلط والاضطراب، سيما وأنه لم يكن يصحب مصحفا مرقما إبان جمعه للكتاب.

4-معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، بتقديم الدكتور عبدالصبور شاهين، سنة 1418هــ،1998م.

وقد سرد جميع ما في القرآن من مواد الألفاظ مرتبة بحسب حروف الهجاء وكما وردت أصولها في المعاجم اللغوية المتداولة، وذكر مادة كل لفظ وعدد مرات وروده بالقرآن على اختلاف صيغه ومعانيه،، ثم فسر كل مادة وألفاظها المشتقة منها بما يطابق معناها اللغوي أولا، ثم بما يوافق وجوه استعمالها في السياق القرآني كلما أمكن ذلك (4). وهو جهد مكمل لجهد عبد الباقي في المعجم المفهرس؛ ذلك أنه يذكر دلالات الألفاظ ويعرِّف بالأعلام والأماكن.

---

(1) فتح الرحمن ص8. المقدمة.

(2) مصباح الإخوان لتحري آيات القرآن ليحي قسطموني، وقد اطلعت على نسخة منه مكتوبة بخط النسخ ومصورة في تسع عشرة وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط، ويبتدأ بمادة أئن.

(3) السابق ص319.

(4) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم المقدمة ص12.

لكنه لم يذكر كل الآيات في مواضعها المناسبة، بل كان يذكر الآيات إذا كانت في حدود العشرين أو أكثر، فإذا زادت على ذلك اكتفي بذكر اسم السورة ورقم الآية.

5-معجم ألفاظ القرآن الكريم، من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقد وضعته لجنة من المعجميين اتباعا لفكرة الأستاذ محمد حسين هيكل الذي حمل راية هذه الفكرة وعرضها لأول مرة عام 1941م وجاهد في سبيلها ما وسعه، كما ذكر ذلك الدكتور إبراهيم مدكور في تصديره للطبعة الثانية(1).

والمعجم لا يقتصر فقط على إيراد النص القرآني، بل حرر معاني الألفاظ في ضوء السياق اللغوي وفي ضوء ما ورد في القرآن من صورة المادة في دقة وإيجاز. وقد اعتمد المعجم الترتيب الهجائي في عرض مواده كلها سواء كانت أفعالا أم أسماءً.

6-مفصل آيات القرآن. ترتيب معجمي ، للدكتور عبدالصبور شاهين، فكرة: نوح احمد محمد طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى، 1414هـ 1994م.

ويقع الكتاب في عشرة مجلدات كاملة، والسبب في ذلك يرجع لحرص مرتِّبه على ذكر الآيات القرآنية بأكملها وبالرسم العثماني، وذلك في كل موطن. وقد ذكر جميع الألفاظ القرآنية بادئاً بلفظ الجلالة، ثم ذكر بقية حرف الألف: أب، أبدأ، إبراهيم، وهكذا. وفي آخر كل جزء يذكر فهرسا يحوى اللفظة وجذرها الاشتقاقي ورقم الصفحة.

وقد قال في مقدمة كتابه: "فإن كل مثقف أو داعية سوف يجد فيه ما يطلب من آيات دون احتمال أن يفوته واحد منها، وبذلك يستوفي في معالجة فكرته في ضوء منظوم قرآني يجده بين يديه مجموعا مصنفا.."(2).

6-المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، إعداد: دكتور احمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، مؤسسة سطور المعرفة ، الأولى، 1423هـ،2002م.

والكتاب - كما يتضح من عنوانه - عمل موسوعي؛ يتعرض للكلمة القرآنية بعد تجريدها من الزوائد (الجذر) ويجمع كل مشتقاته، ويذكر معنى الكلمة المعجمي، ومعناها في سياقها الواردة فيه، مع الاهتمام بالقراءات وإحصاء كل لفظة، والتعرض للتفسير بإيجاز.

والمعجم يقدم مادة طيبة للباحث في التفسير الموضوعي؛ فهو يجمع الجذر بمشتقاته، لكنه لا يجمع كل ما يخص المادة في مكان واحد ، بل يعيد ذكر أرقام الآيات بعد أن ينتهي من ذكر المواد اللغوية كلها، فيبدأ في إعادة ذكر أرقام الآيات الواردة في كل لفظة وبيان اسم السورة، ثم يعود ثالثا فيذكر المعاني المختلفة للمادة مع ذكر شواهد كل معنى من القرآن ويذكر كذلك القراءات، فهو مقسم إلى ثلاثة أقسام. وهكذا جاءت الفهارس أيضا.

---

(1) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج1 تصدير الطبعة الثانية أ.

(2) مفصل آيات القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين المقدمة ج1 صفحة ج.

وبعد هذا العرض الموجز جدا لعدد من الكشافات والمعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم أستطيع القول أن هذه الطريقة في البحث كانت أوفر حظا وأهدى سبيلا من طريقة الترتيب المعجمي؛ فقد قلت الأخطاء فيها، واستدرك اللاحقون على السابقين، وظهرت أعمال موسوعية اشترك فيها عدد من الباحثين وراجعها غيرهم فجاءت واضحة، يمكن الاستفادة منها لكل باحث.

ومع هذا فإن التفسير الموضوعي يختلف عن منهج هذه الكتب جميعا؛ فالتفسير الموضوعي لا يهدف فقط لجمع الألفاظ وبيان عدد مرات ورودها أو حتى بيان دلالاتها المختلفة؛ فهو أعم وأشمل من ذلك ؛ فهو إيضاح لهدايات القرآن، وبيان لوجه من وجوه إعجازه المستمرة التي لا تنقطع ، وليس هذا مجال التفصيل في بيان مدى شمولية التفسير الموضوعي، لكن هذه المعاجم على تنوعها لا شك أنها تفيد الباحث في التفسير الموضوعي أيما فائدة وتذلّل أمامه طريق البحث بإيراد المادة باشتقاقاتها المختلفة مما يعين على استنباط الهدايات القرآنية.

2-أن غالب كتب الغريب مضت على النهج الألفبائي.

والغريب يشمل الألفاظ المبهمة على قارئ القرآن التي تحتاج إلى توضيح معناها، المصنفات في غريب القرآن كثيرة، قال السيوطي:" أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون" (1)، وقد تنوعت طرائق العلماء في التصنيف؛ فمنهم من صنفه على حسب الكلمات في السور مثل الفرّاء (ت207هـ) في : معاني القرآن وابن قتيبة (ت276 هـ) في: غريب القرآن.والزجاج (ت311هـ) في: معاني القرآن.

وممن صنف على نمط أوائل الكلمات أبو بكر محمد بن عزيز السجستانى العُزَيْزي (ت330هـ) في كتابه : نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، وأبو عبيد الهروي (ت:410هـ) في كتابه: الغريبين، و الراغب الأصفهاني (ت: 425هـ) في كتابه : مفردات ألفاظ القرآن، والسمين الحلبي (ت756هـ) في: عمدة الحفاظ ، والعراقي (ت806هـ) في كتابه : ألفية في تفسير ألفاظ القرآن. ومحمد بن طاهر البستاني في كتابه: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأنوار، وعبد الرؤوف المصري في كتابه: معجم القرآن، و مصطفى يوسف بن عبد القادر الحسيني (1333 هـ) في كتابه: هدية الإخوان في تفسير ما أبهم على العامة من ألفاظ القرآن،ومحمد فؤاد عبدالباقي (ت: 1388هـ) في معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري، و عبد العزيز عز الدين السيروان في كتابه: المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، ومحمد بن طاهر في كتابه: معجم بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأنوار، وعبدالحميد الفراهي في مفردات القرآن. واتبع أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) منهجا قريبا من ذلك في كتابه : تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ؛ حيث كان يرتب الألفاظ حسب حرفها الأول، ثم الأخير، دون مراعاة لترتيب

---

(1) الإتقان في علوم القرآن 303/1.

الحشو، ودونما اعتبار للحروف الزائدة. وهي طريقة أصعب من طريقة السابقين ولذلك لم تنتشر.

وكتب الغريب تتشابه مع الكشافات والمعاجم السابق الحديث عنها؛ فكلاهما يتعامل مع اللفظ القرآني ويعيد ترتيبه وفق المنهج الهجائي غالبا كما سبق، وكلاهما يعتبر أداوت مساعدة في عملية البحث. ولذلك فإن بعضا من الذين كتبوا في تصنيف كشافات القرآن الكريم قد عدوا كتب الغريب هي البداية الأولى لتكشيف القرآن الكريم وإن كان أصحابها لم يقصدوا ذلك(1). ويلحق بكتب الغريب أيضا كتب الأشباه والنظائر فقد مضت على ترتيب المواد ترتيبا معجميا.

3-الوصول للموضوع بيسر وسهولة.

فإن الترتيب الهجائي سهل وواضح، ولا يحتاج لأدني جهد من أي فرد، متخصصا كان أو غير متخصص؛ فما عليه إلا أن يحدد الكلمة التي يريد البحث عنها، ويذهب إلى موضعها فيجد كل الآيات الواردة بهذه اللفظة، وهذا بخلاف البحث الموضوعي؛ فإنه عرضة لطول البحث والتفتيش وعدم الوصول بيسر؛ ولنضرب على ذلك مثالا؛ فلفظ السحر مثلا إذا أراد الباحث الوصول إليه عن طريق الترتيب الهجائي فإنه يجد اللفظ في مادة " سحر". أما إذا أراد البحث عنه بالطريقة الموضوعية فإنه قد يجدها في أكثر من باب؛ فقد يوضع تحت عنوان: الأفعال السيئة، أفعال الكفر، المحرمات، الكبائر، صفات اليهود، المستعاذ منه، قصة موسى. إلى غير ذلك مما تتفاوت فيه أنظار الباحثين، وهذا مثال يمكن القياس عليه في كثير من الألفاظ والمواد.

4-المنهج الألفبائي هو المنهج الذي درج عليه كاتبو الموسوعات.

فغالب الموسوعات المصنفة في العلوم والفنون المختلفة قد جرت على النهج الهجائي، وقد أشار مصنفو بعض هذه الموسوعات إلى سهولة الترتيب الألفبائي وتحقيقه الغرض المقصود.

وسوف أذكر- على سبيل التمثيل- بعضا من هذه الموسوعات التي اعتمدت الترتيب المعجمي ومنها ما يلي:

1- الموسوعة الفقهية الكويتية. التي تولت إصدارها-مشكورة- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، وقد جاء في مقدمة الموسوعة التي تبين منهجها وخطة عملها تحت عنوان: ترتيب الموسوعة الألفبائي:" إن اختيار تقديم المعلومات في الموسوعة من خلال مصطلحات (ألفاظ عنوانية متعارف على ارتباطها بمدلولات علمية خاصة) ثم ترتيبها ألفبائيا (على حروف الهجاء) يحقق أهم خصائص الموسوعة ، وهو سهولة الترتيب واستقراره ، بحيث يزول الاضطراب الناشئ عن اختلاف أنظار المؤلفين القدامى في تحديد الموقع المناسب للمسائل الفقهية التي تتجاذبها أبواب شتى ... والتزام الترتيب الألفبائي يزيل الاضطراب وييسر البحث لغير المختص"(2).

---

(1) منهم الباحث: هاني محيي الدين عطية في مقاله: كشافات الألفاظ القرآنية المخطوطة. التاريخ والمفهوم. ص17 من العدد الثالث من مجلة المكتبات والمعلومات العربية. والباحث: السايح على حسين في كتابه: سبل الهدى. دراسة تاريخية وتبويب موضوعي لآيات من القرآن الكريم. المقدمة.

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية. المقدمة 64/1 .

2- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: وقد مضت على ترتيب الأخلاق الحسنة والسيئة ترتيبا هجائيا، وقد أوضح ذلك الدكتور صالح بن حميد المشرف على الموسوعة فقال: "وثمت خطتان غالبتان لتحرير الموسوعات:
إحداهما: تبني أسلوب تجميع المعلومات حسب وحدة الموضوع بحيث تقدم عرضا شاملا له.
ثانيهما: اعتماد الحروف الأبجدية، ومن ثمّ تتوزع المعلومات في خانات وجداول ترتبط بنوع الحرف من غير رعاية لوحدة الموضوع الشاملة.
وقد جرت هذه الموسوعة على الطريق الثاني تمشيا مع طبيعة غرض هذه الموسوعة وتحقيقا لغاية الواضعين.وهي في ذات الوقت أسهل لتناول القارئ لمواد الموسوعة"[1]

3- دائرة المعارف الإسلامية. وقد قام بها جماعة من المستشرقين بتحرير: م.ت هوتسما، ت.و. أرنولد، ر.باسيت، ز. هارتمان. وقد طبع موجزها برعاية كريمة من سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، ونشرها مركز الشارقة للإبداع الفكري. وقد مضت الموسوعة وموجزها على النمط الألفبائي.

4- الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال.

وقد ذكرت هذه الموسوعات على سبيل التمثيل، وإلا فالكثرة الكاثرة من الموسوعات تمضى على النهج الألفبائي.

5- أن منهجها منضبط لا ينخرم.

ذلك أن التزام النهج الهجائي في الترتيب والتصنيف لا مجال فيه لتباين الآراء ولا لاختلاف وجهات النظر، بخلاف الترتيب الموضوعي؛ فإنه عرضة لتباين المناهج وتعدد الاتجاهات، والناظر إلى المعاجم والفهارس التي صنفت على الترتيب الموضوعي لآيات القرآن الكريم يجد أنها تباينت فيما بينها تباينا يلحظه الباحث بأدنى تأمل؛ وذلك من أول محاولة للتصنيف الموضوعي، تلك التي قام بها المستشرق الفرنسي جول لابوم في كتاب: تفصيل آيات القرآن الحكيم. وقد تعرض لنقده جمع من الباحثين [2] فلا نطيل هنا بذكر اختلال منهجه، لكن يكفيه أن صاحب أول محاولة لفهرسة موضوعات القرآن في العصر الحديث.

أما إذا انتقلنا إلى المحاولات المعاصرة سنجد أن المناهج متباينة والتطبيق لا يتناسب مع التنظير، والعنوان لا تطابق مع الآيات التي تحته، وسوف أضرب لذلك أكثر من مثل من كتب المعاصرين غير هادف إلى النقد بل إلى لفت النظر؛ إذ أننا نهدف جميعا إلى إرساء قواعد منضبطة لهذا العلم. وسوف أذكر من كل كتاب من كتب الفهرسة مثالا واحد يبين كيف أن الترتيب الموضوعي للآيات قد يلحقه شيء من الخلل. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

---

[1] موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم المقدمة (57/1).

[2] ومنهم الدكتور عبد الصبور مرزوق في مقدمة كتابه معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم والباحث محمد محمود إسماعيل في مقدمة كتابه تصنيف آيات القرآن الكريم.وغيرهم.

1- كتاب المعجم المفهرس لمواضع القرآن. للدكتور محمد حسن الحمصي، طبعة دار الرشيد، وقد اجتهد واضعه في تتبع موضوعات القرآن ووضع الآيات مع ما يناسبها من الموضوعات.
لكن الناظر في مصنفه يجد أن الآيات لا تتطابق مع الموضوعات بل أحيانا لا يكون بين الآية والموضوع أدني ملابسة، وسوف أكتفي بذكر مثال واحد؛ فتحت عنوان الجاهلية ذكر الآيات الأربع الوارد فيها لفظ الجاهلية، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ﴾ [الزُّمَر:28] ولا صلة لهذه الآية بموضوع الجاهلية مطلقا، ثم ذكر آيتين من سورة الأنعام وهما قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾[الأنعام: 136] وقوله تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠﴾[الأنعام: 140] وهما بعض أفعال الجاهليين العرب وليس كل ما وصمهم الله به. وهذا مثال من مادة واحدة لا تزيد آياتها عن عدة آيات، فكيف بالموضوعات التي تندرج تحتها آيات كثيرة؟

2- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم. لصبحي عبد الرؤوف عصر، طبعة دار الفضيلة بمصر، ونجد فيه نفس الزيادة والنقص؛ فتحت عنوان المسارعة إلى العمل الصالح(1) ذكر قوله تعالى ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾[ص:32] ولم يذكر قوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[آل عمران: 132] مع أنها ألصق بالعنوان من الآية الأولى التي لا صلة لها بالموضوع. وتحت عنوان اتباع الهوى (2) ذكر آية واحدة فقط وهي قوله ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ٣﴾ [القمر: 3] وترك كثيرا من الآيات مثل قوله تعالى﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ١٤﴾[محمد :14] وقوله :﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:28] إلى غير ذلك من الآيات التي تتكلم صراحة عن اتباع الهوى. وذكر في التشاور قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾ [يوسف:54] وكان الأولى منها ما ورد في نفس قصة يوسف وهي قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ [يوسف:80] فإن المقصود بها تشاور الإخوة؛ قال البغوي:" خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا

---

[1] المعجم الموضوعي لصبحي عصر ص308.

[2] السابق ص 811.

يخالطهم غيرهم"(3). وقال الألوسي: "أي متناجين متشاورين فيما يقولون لأبيهم عليه الصلاة والسلام"(4).

3. تصنيف آيات القرآن الكريم. تقديم محمد محمود إسماعيل. طبعة دار اللواء في الرياض. ومع أن صاحبه بذل فيه جهدا طيبا حتى جاء في ستة مجلدات إلا أنه لم يخل أيضا من هنات مثل من سبقه؛ فتحت عنوان: صفات المصلحين وجزائهم (1) ذكر آية الأنعام﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾[الأنعام: 54] ولم يذكر قوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:39]. وفي صفات الفخورين(2) ذكر قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾[التوبة:25] مع أنها لا تدل بلفظها على الفخر وإنما الأنسب أن تكون في باب الإعجاب.

4. الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم. عني بجمعه وترتيبه: محمد مصطفي محمد طبعة إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي باكستان.
وهو كغيره من المصنفات: محاولة طيبة لكن –كغيرها– فيها عدم الانضباط؛ فتحت عنوان الأمثال ذكر مجموعة من أمثال القرآن وذكر قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾[الإسراء: 81](3) وهذه الآية ليست مثلا صريحا ولا كامناً. وتحت عنوان العمل والعمال والمصانع أتى بعنوان فرعي عن صناعة النحاس وذكر فيه قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾ [سبأ:12] ولم يذكر قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ [الكهف:96].

5. دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم، بحث وتحقيق: أسامة كامل أبو شقرا، طبعة مؤسسة الريان بيروت. وهو كسابقيه، ومن أمثلة عدم انضباط المنهج ما ورد تحت عنوان نسيان الفضل حيث ذكر الآيات الواردة في النهى عن نسيان الفضل وذكر معها قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ

---

(3) معالم التنزيل للبغوي 265/4.

(4) روح المعاني للألوسي 35/13.

(1) تصنيف آيات القرآن 416/1

(2) تصنيف آيات القرآن 131/6

(3) الفهرس الموضوعي ص448.

وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف:57] ولا صلة للآية بنسيان الفضل؛ فإنها تتحدث عن نسيان الذنوب.
ولم أشأ تتبع كل المصنفات في هذا الجانب تجنبا للإطالة، ولأنها تتشابه في الطريقة رغم اختلاف الترتيب، والذي يمكن استخلاصه مما سبق أن هذه المصنفات – رغم حرص أصحابها وتحريهم– قد وقعت في أمرين: إضافة آيات لا تدخل تحت العنوان ولو بضرب من التأول، والأمر الثاني: عدم الاستيعاب لكل الآيات الواردة تحت العنوان ولو كانت صريحة مباشرة.
ولم أتعرض لاختلاف مناهجهم في ترتيب الموضوعات لأن هذا أمر فيه شيء من الاجتهاد والتفاوت بين الأفراد، ونستطيع القول أن سبب هذه الأخطاء هو فردية العمل؛ إذ أن العمل الموسوعي –ولو كان مجرد إحصاء للآيات– يحتاج إلى جهد جماعي وإلى مراجعة وتقييم ثم تقويم وضبط حتى يمكن إخراجه للناس بشكل جيد تنعدم فيه الأخطاء أو تقل، والكل مشكور وعلى جهده مأجور بإذن الله، وأعيد القول بأن ترتيب الآيات ترتيبا موضوعيا لا بد أن ينتج عنه شيء من التفاوت والاختلاف لتفاوت أفهام الناس؛ فهناك من يلتزم إيراد اللفظ فقط وهناك من يتوسع فيذكر الألفاظ المرادفة والتي تدل على المعنى ومن هنا يأتي الاختلاف بين المؤلفات ويأتي الخلل في التطبيق لعدم وجود قاعدة واحدة يستطيع المصنِّف أن يمضى عليها من أول الكتاب إلى آخره.

أضف إلى ذلك أمرا آخر وهو الجانب التفسيري؛ فإن الترتيب الموضوعي يحتاج إلى علم بالتفسير واطلاع على كتبه ومراجعه، وترجيح للآراء والأقوال المختلفة أو الجمع بينها ما أمكن، وهذا مجال خصب تتباين فيه طاقات الناس وقدراتهم، فينشا لذلك التباين والاختلاف، بل الخطأ في إلحاق الآية بموضعها المناسب لها وقد سبقت الإشارة إلى شيء من هذا.

5-إمكانية الاستيعاب والحصر والشمول لجميع موضوعات القرآن.

ذلك أن تقسيم الموسوعة إلى موضوعات قد لا يكون جامعا لكل أطراف موضوعات القرآن، وبخاصة تلك الموضوعات التي لا ترد إلا في عدد محدود من الآيات؛ فمن الوارد أن تسقط هذه الموضوعات قليلة الحجم عند اعتماد المنهج الموضوعي في الموسوعة، والأمثلة على ذلك كثيرة في المعاجم التي اعتمدت التصنيف الموضوعي لآيات القرآن الكريم.

أما إذا اعتمد الترتيب الهجائي فإنه سيكون جامعا لكل ألفاظ القرآن الكريم لا ينخرم منها شيء؛ فهي مرصودة محصورة لم يندّ منها لفظ عن مكانه ولم يوضع لفظ في غير موضعه.

ولمزايا هذه الطريقة فإن بعض المهتمين بمجال الفهرسة والتكشيف لآيات القرآن الكريم وهو الأستاذ الدكتور محيي الدين عطية في بحثه : دعوة إلى تكشيف القرآن الكريم مع نموذج كشاف موضوعي للجزء الثلاثين. قد اختار هذه الطريقة ورأى أنها الأنسب في التعامل

الموضوعي مع القرآن الكريم، وطبق ذلك عمليا على الجزء الثلاثين من القرآن الكريم مرتبًا ترتيبًا هجائيًا بدءًا بلفظ "الآخرة" وانتهاءً بلفظ "اليوم الموعود"[1].

المبحث الثاني

عيوب هذه الطريقة وإمكانية تلافيها.

ذكرنا في المبحث الأول مزايا ومرجحات النمط الهجائي الألفبائي في إعداد موسوعة التفسير الموضوعي، ولكن هذا لا يعني أنه لا يخلو من مثالب وعيوب، وسوف أذكر في هذا المبحث أهم عيوب هذا المنهج وهل يمكن تلافيها أم لا. وذلك فيما يلي:

1 تشتت الموضوعات وقطع الترابط.

وهو أبرز عيوب هذه الطريقة؛ إذ أن طريقة الموضوعات أقرب إلى بيان الإعجاز القرآني وإيضاح ترابط موضوعاته، فالترتيب الهجائي يفرق بين المتماثلين أو المتقاربين في المعني لأنهما اختلفا في اللفظ، ومثال ذلك الحديث عن اليوم الآخر على سبيل المثال؛ فلو اعتمد المنهج الألفبائي لتفرق هذا الموضوع في مواطن كثيرة جدا لن يكون بينها رابط، فعلامات الساعة وتفاصيل يوم القيامة من أوله إلى فصل القضاء جاءت في القرآن بصيغ متعددة وبأفانين مختلفة من القول ولو مضت على النهج المعجمي لتشتت الموضوع أوزاعا متناثرة في ثنايا الموسوعة بلا رابط يجمعها. وعلى هذا قس عددا من موضوعات القرآن وبخاصة الموضوعات التي تحدثت عنها آيات كثيرة بصيغ شتى.

ويضاف إلى ذلك أمر آخر لكنه أقل أهمية من الأول؛ وهو ترتيب الموضوعات بحسب الأهمية، فإن مصنفي التفسير الموضوعي على نمط الموضوعات قد درجوا على ترتيب الموضوعات ترتيبا يتناسب مع أهميتها؛ فيبدؤوا بالعقيدة ثم بالعبادات وهكذا، ولو اعتمد الترتيب الألفبائي لانخرم هذا الترتيب.

لكن هل يمكن تلافي هذه العيب بالفهارس والإحالات؟

يمكن القول بأن غالب الموسوعات تعتمد على الإحالات اعتمادا كبيرا، والإحالات تستكمل جوانب النقص في الترتيب الألفبائي بذكر مرادفات النص وما يقارب معناه ، وبذلك يستطيع القارئ أن يجد الموضوع متكاملا، إما بلفظه أو بالإحالة إلى الألفاظ المقاربة، وبخاصة أن المنهج الموضوعي لن يستغنى أيضا عن الإحالة لكن بدرجة دون الترتيب الألفبائي بكثير، وأيضا فالإحالة في الترتيب الموضوعي تكميل، أما في الترتيب الهجائي فإنها تأسيس للموضوع لأنه لن يكون مكتملا إلا بالحديث عن كل ما يقاربه.

---

[1] بحث: دعوة إلى تكشيف القرآن الكريم مع نموذج كشاف موضوعي للجزء الثلاثين. مجلة المسلم المعاصر بيروت المجلد رقم 9 العدد 33سنة النشر 1983 صفحة 147-233

لكن تظل المشكلة قائمة مع وجود الإحالات؛ ويبقى تشتت الموضوع وتفرقه في أكثر من موطن بالموسوعة، ولذلك يمكن القول بأن الطريقة الهجائية تظهر فائدتها في مجال الفهرسة والتكشيف للآيات القرآنية، لأنها تتلافى عيوب طريقة الفهرسة الموضوعية كما سبق، أما في التفسير الموضوعي المتخصص فإن فائدتها تظهر في الإعداد للموسوعة وحصر اللفظ، وترتيب الموضوعات.

2-تعدد معنى اللفظة في القرآن الكريم.

إذا كانت الجزئية السابقة تتحدث عن التفريق بين المتماثلين فإن هذه الجزئية تعالج الأمر من زاوية أخرى مقابلة وهي الجمع بين المتخالفين؛ فإن من عيوب طريقة الترتيب الألفبائي أنها تجمع بين المختلفين في المعنى طالما أنهما اتحدا في اللفظ.

وبيان ذلك أن اللفظ الواحد في القرآن قد يكون له أكثر من معنى، وقد ظهر علم مستقل من علوم القرآن يبحث هذه الظاهرة وهو علم الوجوه والنظائر (1)، وهو يجمع الألفاظ التي تستعمل في أكثر من معنى.

ومثال ذلك لفظ الفتنة؛ فقد ذكر بعض المفسرين أن الفتنة في القرآن على خمسة عشر وجها : أحدها : الشرك . كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة:192]والثاني: الكفر كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ [آل عمران: 7] والثالث : الابتلاء والاختبار ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ﴾[طه:40]والخامس : الإحراق بالنار كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣﴾[الذرايات:13]والسادس:القتل كقوله تعالى: ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١﴾[النساء:101] والسابع:الصد. ومنه قوله تعالى﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾[المائدة:49]والثامن : الضلالة . ومنه قوله تعالى في المائدة ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾[المائدة:41]والتاسع : المعذرة . ومنه قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [الأنعام: 23] والعاشر: العبرة كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[الممتحنة:5] والحادي عشر:الجنون ومنه قوله تعالى:﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦﴾[القلم:6]. والثاني عشر: الإثم.ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾[التوبة:49]. والثالث عشر : العقوبة ومنه قوله تعالى:﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾[النور"63]

---

[1] وقد ذكره الزركشي في النوع الرابع من علوم الإتقان في كتابه البرهان 102/1، وأفرد له السيوطي النوع التاسع والثلاثين في كتابه الإتقان409/1 ، وممن أفرده بالتصنيف: مقاتل بن سليمان (ت ونشره الدكتور عبد الله شحاتة في الهيئة العامة للكتاب بمصر، وأعاد نشره الدكتور حاتم الضامن في مركز جمعة الماجد بدبي، وهناك مصنفات كثيرة في هذا اللون لابن الجوزي وابن الدامغانى وغيرهم. وانظر الإتقان. سابق.

والرابع عشر :المرض كقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾[التوبة:126]والخامس عشر : القضاء . ومنه قوله تعالى:﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾[الأعراف:155]. "(2).

ومع أنك تلحظ أن في عد خمسة عشر معنى للفظ فيه نوع تكثير؛ فالكفر والشرك متقاربان، والمرض معنى بعيد في تفسير آية التوبة والصحيح أنه في الآية بمعنى الاختبار كما نص عليه ابن جرير وغيره(3)، أو بمعنى العذاب. وهكذا لو تتبعنا عددا من هذه المعاني

لأرجعناها إلى غيرها، ومع هذا نقول إن للفظ عدة معانٍ مختلفة مثل الاختبار والشرك والصد والعذاب والخداع..

وما ذكرته في الوجوه والنظائر يقال في المتواطئ الذي يصح أن يراد منه أكثر من معنى والمشترك اللفظي الذي يدل اللفظ فيه على أكثر من وجه بوضع اللغة. وكذا استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه.

وإذا تصورنا المشكلة فهل يمكن أن نتلافاها في موسوعة التفسير الموضوعي؟ وهل يمكن ذكر اللفظ مع ذكر معانيه كلها في موطن واحد؟

أقول: لقد كان هناك محاولات جادة لذلك في معجم ألفاظ القرآن الكريم، حيث نص واضعوه في المقدمة على ذكر المعاني المتعددة في مكان واحد، فقالوا: إذا كان للكلمة أكثر من معنى يشار إلى المعاني خلال عرض الآيات [كل آية ومعناها] (1). وقد قام بذلك أيضا أصحاب المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، ففي مادة فتن ذكروا كل اشتقاق ومعانيه المختلفة مع ذكر شاهد على كل معنى بآية من القرآن الكريم (2). وهذا جهد طيب يوضح الدلالات المختلفة لكل لفظ قرآني، لكنه يصلح للكشافات والفهارس ولا يصلح لموسوعة التفسير الموضوعي؛ إذ هي موسوعة تهدف إلى عرض الموضوعات القرآنية عرضا متكاملا وفق منهج وخطة محددة، ولو اتبعت نظام الفهارس بحيث تذكر كل لفظ ومعانيه المختلفة لابتعدت بذلك عن خطة التفسير الموضوعي؛ وصار العمل أقرب إلى كتب الوجوه والنظائر أو كتب معاني ألفاظ القرآن الكريم. وصار الموضوع القرآني موزَّعا بين المعاني المختلفة وهذا مما يتعارض مع خطة ومنهج التفسير الموضوعي؛ فأول خطوة متفق عليها في خطوات التفسير الموضوعي هي تحديد الموضوع تحديدا دقيقا، ولا يتم هذا التحديد إلا بتوضيح دلالات الألفاظ توضيحا تاما لا يقبل اللبس أو الخلط. وبناء على هذا تظل هذه المشكلة قائمة إن اعتُمِد المنهج الألفبائي في كتابة الموسوعة.

---

(2) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص478.

(3) جامع البيان للطبري 581/14 وعليه ابن كثير

(1) معجم ألفاظ القرآن الكريم. ورقة عمل مقترحة المقدمة ج.

(2) المعجم الموسوعي3/ 347.

الخاتمة

وبعد العرض السابق لميزات وعيوب الترتيب الألفبائي للموسوعة اتضح أن للترتيب الألفبائي مزايا عديدة جعلته المنهج المفضل لكثير من مصنفي الموسوعات في المجالات المختلفة، فإذا نظرنا إلى عيوبه وجدنا أن تلافيها ممكن لكن في مجال التكشيف والفهرسة لا مجال التصنيف الموضوعي، وبخاصة أن كلا العيبين مما يقطع على القارئ استرساله في تدبر هدايات الموضوع القرآني ويحدث التشتت فتفقد الموسوعة بذلك غايتها المرجوة.

والموازنة بين الطريقة الموضوعية والألفبائية لا تهدف إلى ترجيح أحدهما على الآخر بحيث يكون هو المنهج الأوحد وحسب، بل تهدف للوصول إلى الخير في كلا الطريقتين مع تلافي عيوبهما بقدر الإمكان. وقد ذكرت في أسباب ترجيح الترتيب الهجائي أن الترتيب الموضوعي غير منضبط المنهج وذلك في المحاولات المطبوعة المتداولة، ولعل هذا المؤتمر المبارك يتمخض عن خطة واضحة محكمة للترتيب الموضوعي تظهر فيها حسنات الجهد الجماعي وتتلافى الأخطاء المنهجية السابقة. وبقدر ما يكون الإعداد الجيد تكون الثمرة طيبة مباركة إن شاء الله.

كما يمكن الاستفادة من الترتيب الألفبائي في ترتيب الموضوعات داخل الموسوعة لا في ترتيب المواد، وهذه الطريقة تُيسَّر الاستفادة من الموسوعة بلا أدنى جهد أو كلفة، إلا أن استعمال هذه الطريقة يجعل الترتيب غير قائم على أهمية الموضوعات فلا يُبدأ –حينئذ– بالتوحيد باعتباره الأصل. وهكذا.

وبالجملة فالاستفادة من الترتيب الألفبائي حاصل، إن لم يكن في داخل الموسوعة فبالفهارس الهجائية المتنوعة التي تذللها وتجعلها دانية القطاف لكل قارئ.

ولعل فيما سبق إضاءة توضح ميزات ومثالب طريقة الترتيب الألفبائي أضعها بين يدي إخواني لعل فيها شيئا من الفائدة والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

1-الكتب.

- إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين، محمد منير الدمشقي، المكتبة المنيرية ومطبعتها، القاهرة، 1346هـ.

- تصنيف آيات القرآن الكريم. تقديم محمد محمود إسماعيل. طبعة دار اللواء في الرياض.1413هـ،1993م.

- جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى ، 1420 هـ - 2000 م

- دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم، بحث وتحقيق: أسامة كامل أبو شقرا، طبعة مؤسسة الريان بيروت، الأولى، 1422هـ،2001م.

- جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الأولى،1987م.

- دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم، بحث وتحقيق: أسامة كامل أبو شقرا، طبعة مؤسسة الريان بيروت.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي. بيروت، بدون بيانات.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،أحمد بن على القلقشندي، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ، 1987، تحقيق : د.يوسف علي طويل.

- فتح الرحمن لطالب آي القرآن، معجم ألفبائي مفصل لآيات القرآن الكريم، ترتيب علمي زادة، فيض الله بن موسى الحسيني المقدسي، توفي بعد 1323هـ.، طبعة دار الكتب العلمية. بيروت

– الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم. عني بجمعه وترتيبه: محمد مصطفي محمد طبعة إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي باكستان.

– معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ، 1417 هــ 1997 م.

– مصباح الإخوان لتحريات القرآن، لجامعه الحافظ: يحي حلمي بن حسين قسطموني ، مخطوطة مصورة.

– معجم آيات القرآن للدكتور حسين نصار طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

– معجم ألفاظ القرآن الكريم، من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة.1409هــ1988م.

– المعجم المفهرس لمواضع القرآن. الدكتور محمد حسن الحمصي، دار الرشيد، ا 416هــ، 1999م.

– المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، إعداد: دكتور احمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، مؤسسة سطور المعرفة ، الأولى، 1423هــ،2002م.

– المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم. صبحي عبد الرؤوف عصر، دار الفضيلة بمصر، بدون تاريخ.

– المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، الطبعة الرابعة دار الشروق الدولية، 1425هــ2004م.

– مفصل آيات القرآن. ترتيب معجمي ، للدكتور عبدالصبور شاهين، فكرة: نوح احمد محمد طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى، 1414هــ 1994م.

– الموسوعة الفقهية الكويتية . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، بالكويت، طبعة دار السلاسل بالكويت.

– نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت – 1404هــ – 1984 م الطبعة : الأولى تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي.

– نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي
الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع جدة، الطبعة : الرابعة

الدوريات:

–دعوة إلى تكشيف القرآن الكريم مع نموذج كشاف موضوعي للجزء الثلاثين . مجلة المسلم المعاصر بيروت المجلد رقم 9 العدد 33سنة النشر 1983 صفحة 147-233.

–كشافات الألفاظ القرآنية المخطوطة. التاريخ والمفهوم. هاني محيي الدين عطية ، العدد الثالث من مجلة المكتبات والمعلومات العربية.